خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٤/١١/٢٢

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، آمين

في هذه الأيام أتناول في الخطبة بيان صلح الحديبية، نجد ذكر وصول بُديل بن ورقاء الخزاعي وغيره من ممثلي قريش للمفاوضات إلى النبي ﷺ أيضا، وفي تفصيل ذلك يقول حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه:

"عندما وصل النبي ﷺ إلى وادي الحديبية، أقام عند مائها. وبعد أن نصب الصحابة خيمهم في ذلك المكان، جاء بُديل بن ورقاء مع بعض رفاقه للقاء النبي ﷺ وكان زعيما بارزا من قبيلة خزاعة الساكن في المنطقة المجاورة. وقال لحضرته ﷺ إن زعماء مكة مصممون على القتال، وأنهم لن يسمحوا لك بدخول مكة بحال من الأحوال. فقال له النبي ﷺ: "إنا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أحَدٍ، وَإنما أتينا مُعْتَمِرِينَ فقط، ومن المؤسف أن قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ ومع ذلك لا يتوقفون، أما أنا فأقترح عليهم أن يكفُّوا عن قتالي ويُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، لكنهم إذا أبَوا اقتراحي وأصروا على إشعال نار الحرب على الدوام، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، أني أيضا لن أتخلف في هذه المواجهة حتى أكون قربانا في هذا السبيل أو يكرمني الله بفتح، فإذا هلكتُ في مواجهتهم فسوف تنتهي القضية نهائيا، أما إذا أكرمني الله ﷻ بفتح وغلب الدين الذي جئت به، فيجب ألا يمتنع أهل مكة أيضا من الإيمان بي.

تأثر بُديل كثيرًا بكلمات النبي ﷺ الصادرة من الإخلاص والحرقة، وقال لحضرته أمهلْني قليلا حتى أنقل رسالتك إلى أهل مكة سعيا للصلح، فوافق النبي ﷺ وعاد بديل والنفر المرافق له إلى مكة.

فلما وصل بديل بن ورقاء إلى مكة جمع قريشا وقال لهم إني أتيت من هذا الرجل أي محمد ﷺ فقد قدم لي اقتراحا، فهل أذكره لكم إذا سمحتم؟ فقال بعض المتحمسين وغير المسؤولين من قريش، إنا لا نريد أن نسمع منه شيئا، أي هم غير جاهزين لسماع ما قال لهم النبي ﷺ، لكن أهل الرأي والثقات منهم قالوا أخبرنا ما عندك من المقترح. فذكر لهم بديل مقترح النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود الذي كان سيدا ذا نفوذ لقبيلة ثقيف وكان في ذلك الوقت موجودا في مكة، وقال لقريش بأسلوب عربي قديم،

أيها الناس ألست بمنزلة والدكم؟ فقالوا بلى. ثم قال لهم ألستم بمنزلة أولادي؟ قالوا بلى، إنا بمنزلة أولادك. ثم سألهم عروة هل تثقون بي؟ قالوا نعم، فقال إذن رأيي أن هذا الرجل أي محمد ﷺ، قد اقترح لكم مقترحا رائعا، عليكم أن تقبلوا هذا الرأي، وتسمحوا لي بأن أذهب إلى محمد ﷺ لأتكلم معه أكثر ممثلا لكم، فوافق قريش على كلامه.

فجاء عروة رسولَ الله ﷺ فقال: يا محمد، تركتُ كعب ابن لؤي وعامر بن لؤي على مياه الحديبية، معهم العوذ المطافيل قد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم (والأحابيش كانت قبائل حليفة لقريش، وكانوا قد عقدوا الحلف عند سفح جبل الحبش، فسميت بالأحابيش) لبسوا جلود النمور، وجاهزون للقتال وهم قد أقسموا بالله أنهم لن يخلّوا بينك وبين البيت حتى تجتاحهم (أي أن يُهلكهم النبي ﷺ) وانما أنت ومن تقاتلهم بين أحد الأمرين فإما أن تجتاح قومك ولم يُسمع إلى اليوم برجل اجتاح قومه وأهله. وإما أن يخذلك مَن معك، (فهكذا أراد أن يولد الخوف في قلب النبي ﷺ قائلا إن الذين معك هم جبناء، وأساء الظن بالصحابة الكرام) واني والله لا أرى معك وجوها وإني لا أرى إلا هاربين، وفي رواية: إني لا أعرف وجوههم ولا أنسابهم، وخليقا أن يفروا ويتركوك.

وفي رواية: وكأني بهم لو قد قاتلتَ قريشا سلَّموك لقريش فتؤخذ أسيرًا، (فهكذا حاول أن يبث الرعب عنده ﷺ)، فأي شيء أشد عليك من هذا؟ فغضب أبو بكر ﷺ وكان قاعدا خلف رسول الله ﷺ فقال: امصص وثنك اللات (أي اعبده، ولا تكلمنا عن هذا)، أنحن نخذله ﷺ؟ فقال عروة: من هذا؟ قالوا: أبو بكر.

فقال عروة: أما والله لو لا يد لك عندي لم أجزك بها لأجيبنك. كانت لسيدنا أبي بكر ﷺ منة في الماضي على عروة، وورد عن ذلك أن عروة كان قد استعان به في حمل دية. كان قد قتل شخصا وكان عليه دفع الدية، واستعان الناس في حمل دية، فأعانه الرجل ببعير أو بعيرين أو ثلاثة، وأعانه أبو بكر ﷺ بعشرة، فكانت هذه يد أبي بكر عند عروة. وطفق عروة كلما كلّم رسولَ الله – ﷺ – مسّ لحيته ﷺ المباركة، والمغيرةُ ابن شعبة قائم على رأس رسول الله – ﷺ – بالسيف، وعلى وجهه المغفر، فلما تقدم عروة للكلام وأهوى بيده ليمس لحية النبي ﷺ المباركة قرع المغيرة يده بالسيف وقال: اكفُفْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ المباركة قبل أن يصل إليك سيفي، فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمس لحيته ﷺ.فرفع عروة رأسه وقال من هذا؟ فقال القوم: المغيرة بن شعبة. وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة فقال عروة للمغيرة: وأنت يا غادر؟ أما غسلتُ عنك غدرتك. وتفصيل القصة التي يشير إليها عروة هو أن المغيرة كان خرج في الجاهلية مع نفر، فقتلهم وسلبهم، ثم جاء وأسلم، فقال له النبي ﷺ: أما الإسلام فنقبله منك، وأما المال فلا علاقة لنا به. هذه الرواية نقلها البخاري. باختصار، يبدو أن عروة كان قد أعان المغيرة في هذه القضية.

ثم جعل عروة يرمق أصحاب النبي – ﷺ، فإذا تنخم رسول الله (ﷺ) نخامة تلقاها الصحابة في أكفّهم فمسحوا بها وجوههم وصدورهم، وكلما أمرهم بشيء ابتدروا إلى تنفيذه، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يرفعون إلى النبي ﷺ النظر تعظيما له.

فلما فرغ عروة من الحديث مع رسول الله – ﷺ – رد عليه رسول الله ﷺ بمثل ما قال لبُديل بن ورقاء، واقترح عليهم الصلح إلى مدة.

ثم أتى عروة قريشا، فقال: يا قوم إن وفدت إلى بلاط الملوك كسرى وقيصر والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكا قط يطاع كما يطاع محمد (ﷺ) من قبل أصحابه. (انظروا كان عروة جاء ليخوّف النبي ﷺ من الكفار، ولكنه لما رأى هذه المشاهد أُعجبَ بها وأخبر الكفار بما رأى، وأضاف فقال)

والله لم أر ملكا قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمدا، ووالله لم أر ملكا مثله. والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا إلى تنفيذه، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه أيهم يظفر منه بشيء ولا يسقط شيء من شعره إلا أخذوه واحتفظوا به، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون النظر إليه تعظيما له، ولا يتكلم رجل منهم حتى يستأذنه، فإن هو أذن له تكلم، وإن لم يأذن له سكت. ثم قال لقريش: إني أعرض عليكم خطة رشد فاقبلوها. لقد حذرت قومي، واعلموا أنكم إن أردتم له السيف أراده لكم أيضا. وقد رأيت قوما لا يبالون ما يُصنَع بهم إذا منعتم صاحبَهم، والله لقد رأيت معه نساء ما كن ليسلّمنه لكم أبدا. فغيّروا رأيكم وأتوه يا قوم، واقبلوا ما عرض عليكم محمد (ﷺ، أي اقبلوا ما يعرضه عليكم من الصلح أو السماح له بالعمرة)، فإني لكم ناصح، مع إني أخاف ألا تُنصَروا على رجل أتى زائرا لبيت الله معظِّما له، معه الهَدْيُ ينحره وينصرف هو وأصحابه. فقالت قريش لعروة: لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور، أوَ غيرُك تكلّمَ بهذا؟ لكنا سنردّه عامنا هذا، ويرجع العام المقبل. فقال عروة: ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة. ثم ذهب عروة وأصحابه إلى الطائف.

وقد قال حضرة المصلح الموعود (رضي الله عنه) وهو يسرد أحداث صلح الحديبية فقال: "عندما ذهب الرسول الكريم ﷺ للطواف بالكعبة، علم كفار مكة بذلك، فأرسلوا أحد زعمائهم إليه ليقول له أن لا يأتي للطواف هذا العام. فوصل ذلك الزعيم إلى النبي ﷺ وبدأ يحاوره، وأثناء الحديث مد يده ولمس لحيته المباركة متوسلاً إليه بألا يطوف هذا العام وأن يؤجل ذلك إلى العام المقبل.

يقول المصلح الموعود: لم يكن لمس اللحية بسبب قلة الأدب، بل هو عادة عند شعوب آسيا عندما يريدون إقناع شخص بشيء، يلمسون لحيته أو يلمسون لحيتهم كنوع من التوسل قائلين: "انظر، أنا كبير السن وزعيم القوم، فاقبل ما أقول". وهكذا لمس هذا الزعيم لحية النبي ﷺ متوسلاً.

عندما رأى الصحابة ذلك، تقدم أحدهم وضرب يده بمقبض سيفه قائلاً للزعيم: "ارفع يدك النجسة". فعرف الزعيم هذا الصحابي وقال له: "أنت الذي أحسنتُ إليه في موقف كذا". عند سماع ذلك، صمت الصحابي وتراجع. فعاد الزعيم ولمس لحية النبي ﷺ متوسلاً مرة أخرى. يقول الصحابة: كنا غاضبين جدًّا من تصرف هذا الزعيم، لكن في ذلك الوقت لم نجد شخصًا لم يكن لهذا الزعيم فضل عليه. أي أن هذا الزعيم الكافر كان قد أحسن إلى الكثير من الناس، وكنا نتمنى لو كان بيننا شخص لم يكن لهذا الزعيم أي فضل عليه. في تلك اللحظة، تقدم من بيننا رجل كان مغطى من رأسه إلى قدميه بالمغفر والدرع، وخاطب الزعيم بحماس قائلاً: "ارفع يدك النجسة". كان هذا سيدنا أبو بكر الذي قال هذا. عندما عرفه الزعيم قال: "نعم، لا أستطيع أن أقول لك شيئًا لأنه ليس لي عليك أي فضل." (أنوار العلوم ج١٨ ص٥٦٠)

فقام الحُليس ابن علقمة الكناني وكان من رؤساء الأحابيش (وكما ذكرتُ كان الأحابيش حلفاء قريش، وكانوا قد تحالفوا تحت جبل يسمى "حبشي" لذا سُموا بالأحابيش.) فقال: دعوني آتيه (يعني النبي ﷺ). فقالوا: ائته. فلما أشرف على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: "هذا فلان من قوم يعظمون الهدي، فابعثوها له" فبعثتْ له، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي عليها قلائدها، قد أكلت أوبارها من طول الحبس، ترجع الحنين، واستقبله الصحابة يلبّون قد أقاموا نصف شهر، وقد تفلوا وشعثوا، صاح وقال: سبحان الله "ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت هلكت قريش ورب الكعبة. إن القوم إنما أتوا عمارا، (قال ذلك تأييدا للمسلمين) فقال رسول الله ﷺ: "أجل يا أخا بني كنانة".

فرجع إلى قريش متأثرا لدرجة حتى قال لهم: إني رأيتُ ما لا يحل منعه، رأيت الهدي في قلائده قد أكل أوباره معكوفا عن محله، والرجال قد تفلوا وقملوا أن يطوفوا بهذا البيت، والله ما على هذا حالفناكم، ولا عاقدناكم، على أن تصدوا عن البيت من جاءه معظما لحرمته مؤديا لحقه.

وساق الهدي معكوفا أن يبلغ محله. والذي نفسي بيده لتخلن بينه وبين ما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد. (أي قال للكفار دعوا المسلمين يعتمرون) فقالوا: كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به، وفي لفظ اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك، كل ما رأيت من محمد مكيدة. (والعياذ بالله) (سبل الهدى والرشاد، ج٥ ص٤٥)

وفي هذا السفر ورد ذكر رخصة كَعب بن عُجْرة عن حلق الرأس. وتفصيله أنه رُوي عن كعب بن عجرة قال: "كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ونحن محرمون – قد حصرنا المشركون، وكانت لي وَفْرَةٌ *(أي شعر طويل)* فجعلت الهوام *(أي القمّل)* تساقط على وجهي، فمر بي رسول الله ﷺ فقال: "أيؤذيك هوام رأسك" ؟ قلتُ: نعم، قال: "ما كنتُ أرى أن الجهد بلغ بك هذا"، فأمرني أن أحلق، وأنزل الله تعالى

هذه الآية: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ (البقرة: ١٩٧) . فإذا كان أحد مصابا بمثل هذا فيمكنه أن يحلق رأسه.

ورد ذكر مجيء مِكْرَزُ بْنُ حَفْصٍ كسفير في هذه الأثناء. وكما مر سابقا أن بعض الناس كانوا يأتون النبي كسفراء بعد إذن قريش ومنهم مكرز بن حفص. فلما طلع ورآه رسول الله ﷺ قال: "هذا رجل غادر" وفي لفظ "فاجر"، فلما انتهي إلى رسول الله ﷺ كلمه بنحو ما كلم به بديلا وعروة. ثم عاد إلى رفاقه وأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ. وقد ورد ذكر إرسالِ رسول الله ﷺ خِرَاشَ بْنَ أُمَيَّةَ أيضا إلى قريش بهذا الشأن، أي أنه ﷺ أرسل سفيراً من جانبه. يقول محمد بن إسحاق إن رسول الله ﷺ أرسل خراش بن أمية إلى قريش على ناقته. وكان اسم الناقة "ثعلب"، ليبلغ أهل قريش الرسالة التي جاء بها. فعقر عكرمة بن أبي جهل الناقةَ، وحاول قتل السفير أيضاً لكن الأحابيش منعوه، فتركوا خراشاً يذهب، فعاد إلى رسول الله ﷺ وسلم وأخبره بما حدث معه.

على أي حال، استمرت قريش في خلق حالة انعدام الأمن لكن النبي ﷺ ظل يتسامح. وفي تفصيل ذلك يقول مرزا بشير أحمد رضي الله عنه:

لم تكتفِ قريش مكة بذلك، بل أعماهم حماسهم وقرروا أنه ما دام النبي ﷺ وأصحابه قريبون جداً من مكة وبعيدون عن المدينة، فيجب أن يهاجموهم ويلحقوا الضرر بهم قدر الإمكان. فأرسلوا لهذا الغرض فرقة من أربعين أو خمسين رجلاً نحو الحديبية، وأمروهم – تحت عذر المحادثات التي كانت جارية بين الطرفين في ذلك الوقت– أن يبقوا في الكمين حول المعسكر الإسلامي وإلحاق الضرر بالمسلمين كلما وجدوا فرصة. يتبين من بعض الروايات أن عددهم كان ثمانين. وبهذه المناسبة تآمرت قريش لقتل النبي ﷺ أيضا، لكن بفضل الله كان المسلمون يقظين ومستعدين، فانكشف سر مؤامرة قريش وقُبض عليهم جميعاً. غضب المسلمون جداً من هذا التصرف لأهل مكة الذي حدث في الأشهر الحرم وفي منطقة الحرم، لكن النبي ﷺ عفا عنهم و لم يسمح بأن يكون هناك عائق في جهود الصلح.

ثم ورد ذكرُ واقعة مشهورة جداً بحيث أرسل النبي ﷺ سيدنا عثمان رضي الله عنه أيضاً كسفير. روى العلامة البيهقي عن عروة أن النبي ﷺ دعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليرسله إلى قريش، فقال عمر: يا رسول الله، إن قريشاً تعرف عداوتي لهم لذا أخاف على نفسي وليس في بني عدي شخص يحميني. ثم قال: يا رسول الله سأذهب حتما إذا أردتَ. فلم يقل له رسول الله ﷺ شيئاً. فقال عمر: يا رسول الله، سأدلك على شخص يحظى باحترام أكثر مني في مكة وله عائلة أكبر سيحمونه، وسيبلّغ رسالتك التي تريد، وهو عثمان بن عفان. (لم يقل عمر رضي الله عنه هذا خوفاً على حياته، بل قال سأذهب ولكنهم سيقتلونني ولن يتحقق هدف إيصال الرسالة وستنشأ فتنة أيضا، لذا من الأفضل ألا أذهب أنا فليذهب عثمان.)

على أية حال، دعا النبي ﷺ عثمان ﷺ وأمره أن يذهب إلى قريش ويخبرهم أننا ما جئنا للقتال بل جئنا لأداء العمرة.

وقد ذكر مرزا بشير أحمد ﷺ تفصيل ذلك في كتابه "سيرة خاتم النبيين" كما يلي:

أمر النبي ﷺ سيدَنا عثمان ﷺ أن يذهب إلى مكة ويخبر قريشاً عن نوايا المسلمين السلمية ونية العمرة، وأعطاه النبي ﷺ من عنده كتاباً موجهاً إلى زعماء قريش. في هذا الكتاب، بيّن النبي ﷺ الهدف من مجيئه وأكد لقريش إننا لا ننوي سوى أداء عبادة وسنعود بسلام بعد أداء العمرة. وقال ﷺ لعثمان أيضاً أن يحاول لقاء المسلمين الضعفاء أيضا في مكة ويرفع معنوياتهم ويقول لهم أن يصبروا قليلاً فإن الله سيفتح باب الفرج قريباً. (كان النبي ﷺ واثقاً جداً من ذلك.)

ذهب سيدنا عثمان بهذه الرسالة إلى مكة والتقى بأبي سفيان الذي كان في ذلك الوقت الزعيم الأعظم لمكة وكان أيضاً من أقارب عثمان ﷺ الأقربين. حضر عثمان ﷺ في مجمع عام لأهل مكة وقدم كتاب النبي ﷺ الذي قرأه كل واحد من زعماء قريش، لكن رغم ذلك ظل الجميع مصرين على موقفهم بألا يدخل المسلمون مكةَ هذا العام بأي حال. عندما ألحّ عثمان ﷺ على موقفه، قالت قريش: إذا كنت مشتاقا جداً للطواف فنسمح لك وحدك بالطواف حول البيت. (أي عرضوا على سيدنا عثمان أن يقوم هو وحده بالطواف لكن لا يمكن أكثر من ذلك). فقال عثمان ﷺ: كيف يمكن أن يُمنع رسول الله ﷺ خارج مكة وأقوم أنا بالطواف؟ لكن قريش لم يقبلوا الأمر بأي طريقة، وأخيراً بدأ سيدنا عثمان يستعد للعودة يائسا.

وبهذه المناسبة خطرت لأشرار مكة فكرة شريرة إذ ظنوا أنهم بهذه الطريقة سيفوزون بشروط أكثر فائدة لهم في عملية الصلح، فحجزوا عثمان ﷺ ورفاقه في مكة. وعلى إثر ذلك انتشرت بين المسلمين شائعة أن أهل مكة قتلوا سيدنا عثمان ﷺ.

ثم عندما وصل هذا الخبر، أخذ النبي ﷺ بيعة تُسمى بيعة الرضوان. وجاء في تفصيل ذلك: لما بلغ هذا الخبر –أي خبر استشهاد عثمان– إلى الحديبية ثار المسلمون ثورة شديدة، لأن عثمان ﷺ كان صهرا لرسول الله ﷺ ومن كبار الصحابة، وكان قد ذهب إلى مكة كسفير إسلامي، وكان هذا في الأشهر الحرم وفي مكة التي هي بحد ذاتها حرم.

فلم يلبث النبي ﷺ أن أعلن بين المسلمين بأن يجتمعوا كلهم تحت شجرة سمرة، فلما اجتمع الصحابة أخبرهم النبي ﷺ الخبر وقال: إن كان خبرا صحيحا، فوالله لن نبرح حتى ننتقم لعثمان. ثم قال ﷺ للصحابة تعالوا وبايعوني – كما هي الطريقة الإسلامية للبيعة واضعين أيديهم في يد النبي ﷺ– على أنكم لن تولوا الأدبار ولن تبرحوا مكانكم حتى الموت. فسارع الجميع، وكانوا في ذلك الوقت حوالي ألف وأربعمئة أو ألف وخمسمئة بحماس للمبايعة يتساقطون بعضهم على بعض، وباع كل واحد منهم

نفسه واحدا تلو الآخر على يد سيده المحبوب ﷺ للمرة الثانية وكانوا في ذلك الوقت يشكلون العدد الإجمالي للإسلام. وضرب النبي ﷺ يده اليمنى على اليسرى، وقال: "هذه يد عثمان، إذ لو كان هنا لما تخلف عن هذه الصفقة المقدسة، ولكنه مشغول بأداء واجب لله ولرسوله". وهكذا انتهى هذا المشهد كلمعان البرق.

وقد عُرفت هذه البيعة ببيعة الرضوان في تاريخ الإسلام، أي بيعةٌ فاز فيها المسلمون برضوان الله تعالى إنعامًا لهم. وقد ذكرها القرآن الكريم بوجه خاص في قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٩). أي لقد رضي الله عن المسلمين الذين كانوا يبايعونك تحت الشجرة، لأنه بهذه البيعة ظهر لله تعالى إخلاصهم الكامن في قلوبهم، وبالتالي فقد أنزل الله تعالى السكينة عليهم وأعطاهم فتحًا قريبًا إنعامًا لهم.

وكان الصحابة يذكرون هذه البيعة بفخر ومحبة، وكانوا يقولون لمن جاء بعدهم: تعدّون فتح مكة فتحًا كبيرًا، أما نحن فكنا نرى أن بيعة الرضوان هي الفتح. ولا جرم أن هذه البيعة مع ما فيها من أحداث كانت فتحا عظيما، ليس لأنها فتحت بابا للانتصارات القادمة فقط، بل لأن روح الفداء الذي كان أبرز علامة لدين محمد ﷺ قد تجلى فيها على أحسن وجه وأروعه، حيث أكد المسلمون الفدّاؤون بعملهم أنهم مستعدون للمخاطرة بأنفسهم وأرواحهم من أجل رسولهم ورسالته عند كل خطوة وفي كل موطن. ومن أجل ذلك كان الصحابة يقولون عن بيعة الرضوان إنها كانت بيعة العهد على الموت، أي كانت البيعة عبارة عن عهدٍ تعهَّدَ به كل مسلم أنه سيضحي بنفسه من أجل الإسلام وعزته، ولن يفرّ من هناك. وأحد الجوانب الهامة لهذا العهد هو أنه لم يكن فقط إقرارًا باللسان قد صدر بحماس مؤقت، بل كان صوتًا خرج من صميم الأفئدة، وكانت قوة المسلمين كلها قد ارتكزت في هذه النقطة الوحيدة.

لقد تناول المصلح الموعود ﷺ أيضا عن خبر استشهاد عثمان ﷺ وبيعة الرضوان، فقد ذكر في إحدى خطاباته كما يلي:

"لما تلقى رسول الله ﷺ خبر استشهاد عثمان جمع أصحابه وقال بأن احترام الرسل والسفراء أمر معمول به في كل الأمم، وقد سمعتم أن أهل مكة قتلوا عثمان، فإن كان هذا صحيحًا فسندخلن مكة عنوة. أي كانت نيتنا الأولى أن ندخلها بالتصالح ولا بد أن تتغير تلك النية بعد تغير الظروف. وتابع الرسول ﷺ حديثه فقال لهم إن أولئك الذين هم مستعدون للتعهد بالمضي قدُمًا إن لزم الأمر بحيث لن يعودوا بدون الفتح حتى ولو قتلوا في هذا الميدان واحدًا تلو الآخر، عليهم أن يتقدموا ليبايعوني على هذا العهد.

وما إن أنهى الرسول ﷺ حديثه، حتى تحول الألف والخمسمئة صحابي زائر إلى ألف وخمس مئة جندي، وقفزوا مسرعين إلى يد الرسول ﷺ متسابقين في هذه البيعة. وكانت لهذه البيْعة أهمية خاصة في تاريخ الإسلام كله، وهي تسمى بيْعة الشجرة، لأن الرسول ﷺ كان يجلس تحت شجرة عندما بايعه المسلمون. سأقدم إن شاء الله المزيد من التفاصيل حول صلح الحديبية لاحقًا.

أما الآن فأود أن أقول: كما يعلم الجميع، إن الأوضاع في أوروبا تتجه بسرعة نحو الحرب. يتزايد خطر انتشار الحرب بين أوكرانيا وروسيا. وتتلقى دول أوروبا الأخرى التهديدات أيضاً. والقادة العقلاء والمحبون للسلام قلقون تجاه هذا الوضع.

فادعوا الله تعالى أن يحفظ الأحمديين والمحبين للسلام من الآثار السيئة للحرب، وألا يستخدم هؤلاء المحاربون الأسلحة التي تترك آثارها الضارة في الأجيال القادمة.

وادعوا أيضاً للدول الإسلامية أن يرزقهم الله العقل والفهم، وأن يوفقهم لمعرفة الحق.

وثانياً، أود أن ألفت الانتباه إلى أن الأوضاع تتدهور بسرعة، ولقد نشأ لدى الناس اهتمام سلفًا بسبب هذه الظروف، إلا أنني أود أن أذكّر مرة أخرى بضرورة تخزين مؤن في المنازل تكفي لمدة شهرين أو ثلاثة. ولكن النقطة الأهم هي السعي لإحراز التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه، والمحاولة لبناء علاقة مع الله تعالى وتنميتها. نسأل الله تعالى أن يوفقنا لذلك. آمين

*****